

## البناء

## ثقافة وفنون

### «ألوان» تحيي شهر الانتصار بـ«ميركافا» من فلين وجدارية



فناناً تشكلياً وشعراء من مختلف المناطق اللبنانية. وأبدع الفنانون المشاركون في الفعالية برسم جدارية عملاقة بطول عشرين متراً، خطوا حكايتها بالوانهم والتقوا على تأكيد معادلة واحدة «شعب وجيش ومقاومة». وكان في البرنامج الختامي توزيع شهادات على الفنانين المشاركين، وتسلم النائب رعد والاستاذ فضل قانصو درعين تقديريتين.

وعن الجدارية قال علوش: إن هذه الجدارية تعبر عن وجداننا المغمم بالانتصار. فكما رسمنا الفرح والحياة في شوارع الضاحية وأزقتها، وكما نحننا بالتراب على رمال مدينة بيروت تحية للجيش، جنباً اليوم لنحتفي بال نصر على العدوان والاحتلال. وكانت قصيدة من وحى المناسبة للشاعر فادي حدرج، وقدم للحفل الشاعر محمد رخال، وأشرف على تنفيذ الجدارية الفنانان التشكيليان محمد خريس وأحمد عبد الله.



فناناً تشكلياً وشعراء من مختلف المناطق اللبنانية. وأبدع الفنانون المشاركون في الفعالية برسم جدارية عملاقة بطول عشرين متراً، خطوا حكايتها بالوانهم والتقوا على تأكيد معادلة واحدة «شعب وجيش ومقاومة». وكان في البرنامج الختامي توزيع شهادات على الفنانين المشاركين، وتسلم النائب رعد والاستاذ فضل قانصو درعين تقديريتين.



فناناً تشكلياً وشعراء من مختلف المناطق اللبنانية. وأبدع الفنانون المشاركون في الفعالية برسم جدارية عملاقة بطول عشرين متراً، خطوا حكايتها بالوانهم والتقوا على تأكيد معادلة واحدة «شعب وجيش ومقاومة». وكان في البرنامج الختامي توزيع شهادات على الفنانين المشاركين، وتسلم النائب رعد والاستاذ فضل قانصو درعين تقديريتين.

بشكل غنائي، فيها كوميديا ناقدة استطاعت أن تحرك مشاعر الحضور. لا سيما أنها عكست بعض أمانتهم وطموحاتهم الوطنية والإنسانية. وعن رأيه في المهرجان قال الشاعر والناقد رضوان هلال فلاحه إن المهرجان يمثل ديمومة الحراك الإنساني الحضاري السوري ثقافة وأدباً وفناً، تسامى بها الشعب السوري بعراقة الموروث الشعبي وأصالته وتجذره في الوطن هوية وانتماءً.

وقالت الكاتبة والشاعرة الزليخة نبوغ أسعد إن هذا المهرجان خطوة ناجحة على الساحة الثقافية، شمل عدداً من الشعراء الذين ظهرت في قصائدهم آلام الشعب السوري ونزوعه إلى السمرورة والكرم والشجاعة. كما يعبر المهرجان عن توسيع وزارة الثقافة توجهاتها، داعية إلى استقطاب كل شعراء الزجل، لا سيما البارزين منهم على مستوى سورية والعالم العربي، من الذين غاب عنهم عن المهرجان على رغم كون إطلاقه بحد ذاته ظاهرة إيجابية وسابقة رابعة.

#### لمى نؤام

ويُعْتَبَر مهرجان الزجل الأوّل الذي تقام فعالياته في صالّة الوفّق في جرمانا، محاولة شعبية جادة للتعبير عن رفض الشعب السوري لاعداء الحضارة واصحاب الفكر المتطرّف، نظراً إلى المعاني التي يقدّمها، حتى وإن اختلفت المستويات في القصائد التي ألقيت، إذ عبّرت بمعظمها عن نضال الشعب السوري ضدّ كل من يحاول النيل من وطنه.

ويُتَاح مهرجان الزجل نشاطاته بأسميات لعدد من الشعراء، إضافة إلى حلقة تحدّ تقدّمها «جوقة المرابا».

### الشعر الوطني نجمٌ يسطع في مهرجان الزجل الأوّل في جرمانا



مقدّم الحضور

وعلى الرّبابة، عزف الشاعر يحيى القنطار بأسلوب تراثي أصيل، رافقه ببعض أشعاره الزّجليّة مفتخراً بأماجد سورية وقوتها وتصديها للمؤامرات. وألقى الشاعر زياد ميمان قصيدة زجليّة بعنوان «يا وطن» رأى فيها أنّ الذين خانوا سورية وساهموا في المؤامرات التي حاولت النيل منها، عبروا عن هوانهم وعن كونهم دمية. وأن الشعب السوري يتحدى كل من يريد العدوان على أرضه فقال: يا وطن يلي ما يوم سكرت باب بوجه قاصد لسورية وأراضيها يا وطن من اليوم لأزّم تحسب حساب ما يدوس ديارك إلا اللي يريد يبيّننا وما قدّم الشعاعران بسام ورور وماجد حمدان يرافقهما على العود سلامة التعتوت محاوره اجتماعية

لشعر كنز كبير بعُرف العرب فثروة غنية ويا سعد من نالها وقديش غالي بهالذي غرام الذهب وفيه الخليقة كثير شغلّت بالها أوزن قصيدة بموازين الذهب وكل نقطة وحرف كيلو قبالتها أما الشاعر المكرّم إيهاد حمد فجدّد معاناة السوريين عبر الدّهر وتعرّضهم لأطعام المستعمرين، نظراً إلى أهمية سورية وشعبها، وأنهم مهما قاسوا واعاؤوا سيبقى الوطن أهم أولوياتهم. خاتماً وصلته الزّجليّة برناء الشاعر الراحل فؤاد حيدر فقال: نحننا بسورية عم نعانى والإحِبّ موطناً ما عنّا عجنّا الدهر بصير وقناحي وعاجمعية زجلنا الظرف جاني خلف منّا سديانة معني وعلينا واجب نصون الأمانة وتا يبقى جذرنا بتربة وطننا

تميّزت بهذا النوع من الأدب جبال القلمون ووادي بردى وغوطة دمشق، لا سيما جرمانا لافتة إلى أنّ هذه المحافظة قدّمت الزجل الأرامي، وهو من أقدم أنواع الزجل. فكان يُغنى كترانيل دينية، ثم تحول إلى زجل يجسدّ الحالات الاجتماعية. ثم قام كل من أبي غنام والصعب ورفعت عماشة عضو مجلس الشعب، بتقديم شهادتين تكريميتين للشاعرين لطفى عبد الرزاق وإياد حمد، وشهادة تقديرية لرئيس جمعية الزجل الشاعر الراحل فؤاد حيدر، تسلمها ابنه الملحن خالد حيدر. وألقى الشاعر المكرّم لطفى عبد الرزاق قصيدة زجلية عبّر فيها عن أهمية الشعر الزجليّ، إضافة إلى وصف العادات والتقاليد الاجتماعية الأصيلة التي يتحلّى بها السوريون فقال:

### ألغاز وتساؤلات في الذكرى التاسعة والسبعين لاغتيال الشاعر والمسرحي الإسباني غارسيا لوركا

محمد محمد الخطابي



الشاعر الأندلسي الذائع الصيت فديريكو غارسيا لوركا (1898-1936) الذي اغتيل في منتصف آب عام 1936، مع اندلاع الحرب الأهلية الإسبانية، ما زالت قضية اغتياله تثير عدداً من التساؤلات المحيرة، وتطرح غير قليل من الألغاز في الأوساط الأدبية والثقافية والتاريخية والسياسية في إسبانيا وخارجها حول هذا الحدث المؤلم، الذي ما انفك يسيل بسببه، ومن أجله حير غزير منذ حدوثه إلى اليوم، ذلك أنّ اغتيال الشاعر لوركا تم من دون محاكمة، وفي ظروف غامضة في العهد الفرانكوي الديكتاتوري المطلق، الذي حكم إسبانيا بيد من حديد زهاء أربعين سنة.

#### ألغاز وظلال

احتفلت أوساط ثقافية عدّة مؤخراً (ابتداءً من يوم الاثنين 17 آب) بذكرى هذا الاغتيال في مختلف المناطق والمدن الإسبانية، وبشكل خاص في مدينة غرناطة مسقط رأس الشاعر، وباقي مناطق الأندلس وأصقاعها ويقاعها. لا بل نُشر في هذه المناسبة كتاب جديد تحت عنوان «لغز الموت وقائع المراسلات بين أغوستين وإيميليا يانو والتعليق عليها»، للباحث مارتا أوسوريو، وقد صدر هذا الكتاب المثير عن دار النشر «كوماريس» التي سبق لها أن أصدرت من قبل كتاب «الخوف والشيان والخيال» (وقائع مباحث الكاتب أغوستين بينون حول فديريكو غارسيا لوركا)، ويضم هذا الكتاب عدداً من المراسلات التي تمت بين هذا الباحث الكبير لحياة الشاعر لوركا وموته، الذي كان من أكبر المعجبين به وأبعامله، وبين صديقته إيميليا، ويعتبر هذا الكتاب تكملة أو امتداداً للكتاب السابق الذي يعالج الموضوع ذاته، وفي وقت يلقي هذا المؤلف المزيد من الأضواء الكاشفة حول هذا الاغتيال، فإنه في الوقت ذاته ينشر ظلالاً وشكوكاً حوله كذلك، وتتمثل أولى الشكوك الرئيسية التي تحوم حول هذا الموضوع الشائك في التساؤل التالي: هل نقلت رفات لوركا من المكان الذي دُفن فيه، حيث اغتيل، كما أشار إلى ذلك شاهدو عيان الذين سبق لهم أن حددوا مكان إطلاق الرصاص على لوركا..!

#### لوركا ما زال حياً!

وعلى رغم هذا الاغتيال، فإن الشعراء والكتّاب والنقاد والدارسين والباحثين والمؤرخين والقراء... إسبانيا كانوا أم غير إسبانيا، كلهم يؤكدون أنّ الشاعر فديريكو غارسيا لوركا لم يمت، وهو ما زال حياً، نابضاً، مشعاً، ومتفاعلاً بيننا، لا بل أنه في منظورهم، سيعيش أبداً في قلوب الناس والقراء من عشاق شعره، وفي أفئدتهم وألبابهم، ومن بين هؤلاء الكتّاب والكتّابيات والباحثين والباحثات صاحبة الكتاب الأول الألف الذكر التي أثبتت فيه شهادة أغوستين بينون نفسه في هذا السياق منذ عام 1955، حيث تؤكد الكاتبة مارتا أوسوريو أنّ هذا الباحث قد سبق عصره، وأخبرنا بما نراه ونسمعه حول هذا الموضوع اليوم، وهو أنه بعد مرور 79 سنة، ما زلنا نرصد التساؤلات نفسها، ونفجر الألغاز نفسها حول هذا الحادث المؤسف والمؤلم.

وتتساءل الكاتبة متأسفة ومتحسرة «أنه لماذا لم يقم المهتمون، ولا الباحثون بشيء ذي بال في هذا الاتجاه؟ وبالتالي فلا أحد يعرف شيئاً عن هذا الموضوع حتى اليوم». وتطالب الكاتبة الباحثين والمؤرخين القيام بعمل جاد، وإجراء بحوث علمية دقيقة بناءً على المعلومات التي جمعها بينون في كتابه القديم، وأنه ليس الشاعر لوركا وحده جدير بهذا الاهتمام، بل جميع هؤلاء الأبرياء الذين لحق بهم حيف كبير، وعانوا من ظلم عاتق، هم كذلك جديرون بأن يكون لهم مكان في ذاكرتنا، وحيز في تاريخنا، ولم يكن هؤلاء من المواطنين الإسبان فحسب، بل كان بينهم أجنبي كذلك. وتشرّد الكاتبة في هذا القبيل - على سبيل المثال لا الحصر- قصة فتاة ألمانية يهودية كانت قد قرّبت من بطش النازيين في بلدنا ألمانيا، ولكنها لقيت حتفها إلى جانب لوركا، إذ اغتيلت معه في المكان نفسه لأنها كانت صديقة لمهندس اشتراكي إسباني نماهض للفرانكواوية.

#### الخوف والنسيان

ورأت الكاتبة بأنّ عينيها من منزلها في قلب مدينة غرناطة عدداً من الأسر التي فقدت أفراداً منها، ومن عائلات إسبانية أخرى من الأصدقاء، والكتاب والشعراء والمثقفين الذين جمعها بينون في كتابه القديم، وأنه ليس الشاعر لوركا وحده جدير بهذا الاهتمام، بل جميع هؤلاء الأبرياء الذين لحق بهم حيف كبير، وعانوا من ظلم عاتق، هم كذلك جديرون بأن يكون لهم مكان في ذاكرتنا، وحيز في تاريخنا، ولم يكن هؤلاء من المواطنين الإسبان فحسب، بل كان بينهم أجنبي كذلك. وتشرّد الكاتبة في هذا القبيل - على سبيل المثال لا الحصر- قصة فتاة ألمانية يهودية كانت قد قرّبت من بطش النازيين في بلدنا ألمانيا، ولكنها لقيت حتفها إلى جانب لوركا، إذ اغتيلت معه في المكان نفسه لأنها كانت صديقة لمهندس اشتراكي إسباني نماهض للفرانكواوية.

جانب معتقل آخر وثلاثة من العساكر الذين ينتمون إلى الحرس المدني الإسباني، الذين يتعنون في اللغة الإسبانية بغورديا نبيل فقال: إن الطريقة التي قتل بها لوركا كانت حتى الآن لغزاً محيراً، وقد أعطيت تفسيرات مختلفة حول هذا الأمر، وبحسب فرانسيسكو فيغا دييث فإن سائق التاكسي كان قد زارده في عيادته في 13 آب 1936، أي قبيل مقتله بأربعة أيام. الأحداث وقعت في الليل، وقد تعرّف سائق التاكسي إلى واحد من الذين تم القبض عليهما وهو الشاعر الغرناطي، بواسطة الكشافات التي أوقدها الحراس للقيام بعملية الاغتيال.

وكان غارسيا لوركا قد سافر من مدريد إلى مسقط رأسه غرناطة، وكان يعتقد أنه في أرضه سيكون في مأمن من الخطر الذي كان يداهمه ويحرق به من كل جانب. وأضاف ألبيرتي: «لوركا كان يغشاه خوف الأطفال، وكان يعتقد أنه في غرناطة لن يحدث له شيء»، فركب القطار إليها على عجل، إلا أن الموت فاجأه هناك، فكل منا يحمل موته معه.. وقد لسمع سائق التاكسي الذي كان معه - كان مسناً وأعرج داخل حفرة منخفضة أعدت من قبل خصيصاً لهذه الغاية، فعمل الشاعر على مساعدة زميله على الوقوف، ما زاد في حقن الحراس حيث ضربه أهدم بمؤخرة سلاحه وشج به أم رأسه، ثم بدأ القتل يشتمون الشاعر، ويرموه، وينعتونه بأحط النعوت، وطفقوا بعد ذلك في إطلاق النار عليه على الفور. وأكد السائق أنّ اثنين من مصارعي الثيران، وعشرة من الأشخاص الآخرين كانوا قد قتلوا كذلك في تلك الليلة نفسها.

وتشير الكاتبة والناقدة المكسيكية إيرما فوينتيس معلقة على ذلك: «الشعراء مثل الأبطال والأتهاز، يطبعون شعوبهم بطابعهم ويجعلون شعبيهم يختلف عن الشعوب الأخرى، فالشعراء يتركون في العالم ضوءاً مشعاً متعدد الألوان، يجعلون الرجال يجتمعون ويتحدون على رغم تباين أجناسهم وثقافتهم، وعلى رغم الخلافات السياسية والإيديولوجية والمذهبية والمشاحنات، التي قد تنشأ بينهم، وقد تصل حد الحروب والعنف واستعمال القوة. فكل شاعر من هؤلاء بغض النظر عن الزمن الذي يولد فيه، يصبح بمثابة معزف كوني متعدد الأوتار والأنغام، وإن اختلفت نتويحاته وتفاصيله، فهو يعزف لنا واحداً وعظمه كل موجود حي في أي ضقع من أصقاع العالم».

وتضيف الناقدة: «وعليه، فإن فقدان أي شاعر لدى أي أمة مثل حالة لوركا هو حدث تراجميدي يمس الإنسانية جمعاء، لا رفعتته الجغرافية أو بلده وحسب، هذا رغم وجود شعراء آخرين كبار، وأما إذا اغتيل شاعر فإن الشعور بالمأساة يتفاقم ويزيد ويكون أفظع أفرح».

#### أصوات الموت دقت

من ذا الذي يمكنه أن يعوضنا ما ضاع مع الشاعر، بدأ غارسيا لوركا قرض الشعر في العشرين من عمره واستمر في الكتابة حتى يوم اغتياله عام 1936. وقد خلف لنا عشرات القصائد مبنوثة في عدد من دواوينه مثل «كتاب الأشعار»، و«قصائد غنائية»، و«القصائد الأولى»، و«أغاني الغجر الشعبية» و«شاعر في نيويورك»، و«كناحية عن إغناسيو سانثيس ميخياس». ثم كم من الدواوين كان يمكن أن تضاف إلى هذه القائمة لو استمرت حياته على يديها الطبيعية؟ كيف ستكون أعماله الآن؟

قال لوركا عندما كان على بضع خطوات من نهر «الوادي الكبير» الذي ما زال يحمل اسمه العربي والإسلامي القديم إلى اليوم:

أصوات الموت دقت قرب الوادي الكبير أصوات قديمة طوّقت صوت القرغل الرجولي ثلاث دقات دموية أصابته ومات على جنب

على رغم شغفه بالمسرح، فإنه في حياته الأخيرة لم يتوقف عن نظم أشعار رفيعة مؤثرة وحزينة، كانت الأندلس من أبرز علامات هذه الأشعار. كان لوركا مجدداً وفريداً، وطاقراً غزيباً في الشعر، كان من الطليعيين إلى جانب بابلو بيكاسو في عالم الصور والتشكيل والرسم حتى أصبح من أعظم شعراء القرن العشرين.

مات لوركا مقتولاً مجتذلاً، مات ممتلاً برصاص الغدر والخيابة، والكرامية من أعداء الشعر، وأعداء الحياة، وأعداء المحبة والحرية والسلام.

✽ باحث مغربي